# رِسَالَةُ بُولُسَ الرَّسُولِ إِلَى أَهْلِ رُومِيَةَ

# نسلك في خطوات إبراهيم (٤: ١٧-٢٥)

تأليف: دفيد روبر

قيل لنا في الأصحاح الرابع: «فَآمَنَ إِبْرَاهِيمُ بِاللهِ فَحُسِبَ لَهُ بِرًّا» (آية ٣). ومن ثم طُلِبَ منا أن نسلك «فِي خُطُوَاتِ إِيمَانِ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ ...» (آية ١٢)[١]. عندما أقرأ هذه الكلمات أتذكر صبي يتبع أبيه وهو يمد رجليه ليخطو على أثر قدمي أبيه.

ماذا يعني أن نسلك «في خطوات إبراهيم»؟ تحدث بولس في الجزء الأخير من الأصحاح الرابع من الرسالة إلى أهل رومية طبيعة إيمان إبراهيم. كتب ريشارد باتي انه «قدم بولس هنا تعريفاً للإيمان[٢] كما لم يفعل في أي مكان آخر من رسائله. لم يقدم هذا التعريف بكيفية مثالية وأكاديمية، بل هو إستجابة إبراهيم التي أظهر فيها الإيمان»[٣]. سنفحص في هذا الدرس ما قاله بولس عن إيمان إبراهيم. أرجو أن تتذكر أثناء هذا بان هذا هو نوع الإيمان الذين يجب أن يكون لنا.

## إيمان إبراهيم(٤: ١٧-٢٢)

### إيمان بشخص الله (آية ١٧)

لنلاحظ أولاً أنه كان لإبراهيم إيمان في شخص الله. يبدأ نص درسنا هذا بالجزء الأخير من الآية ١٧. أي من منتصف جملة - لهذا يجب أن نرجع قليلاً إلى بداية الجملة:

> لِهذَا {الوعد بان إبراهيم ونسله سيرثون العالم} هُوَ مِنَ الإِيمَانِ، كَيْ يَكُونَ عَلَى سَبِيلِ النِّعْمَةِ، لِيَكُونَ الْوَعْدُ وَطِيدًا لِجَمِيعِ {نسل إبراهيم الروحي}. لَيْسَ لِمَنْ هُوَ مِنَ النَّامُوسِ فَقَطْ، بَلْ أَيْضًا لِمَنْ هُوَ مِنْ إِيمَانِ إِبْرَاهِيمَ، الَّذِي هُوَ أَبٌ لِجَمِيعِنَا (الآية ١٦).

بعد ما قدم بولس تأكيداً كتابياً للعبارة الأخيرة في الآية ١٦ (راجع مقدمة الآية ١٧)، أضاف الكلمات الأولى من نص هذا الدرس؛ إذ قال أن إبراهيم هو أب لجميعنا «... أَمَامَ اللهِ الَّذِي آمَنَ بِهِ ...» (الآية ١٧). ضع خط تحت كلمة «الله»؛ آمن إبراهيم بالله.

يحدد هذا النص حقيقتين عن الله آمن به إبراهيم: «... الَّذِي يُحْيِي الْمَوْتَى، وَيَدْعُو الأَشْيَاءَ غَيْرَ الْمَوْجُودَةِ كَأَنَّهَا مَوْجُودَةٌ» (الآية ١٧). تشير عبارة «يُحْيِي الْمَوْتَى» في هذا السياق إلى جسدي إبراهيم وسارة «الميتين» (الآية ١٩)؛ سيحي الله جسديهما ويجعلهما قادران على انجاب ابنا. ربما كان هناك تلميح لحدث لاحق في حياة إبراهيم، عندما طُلِبَ منه أن يقدم إسحاق ابنه ذبيحة (تكوين ٢٢). قال كاتب الرسالة إلى العبرانيين أنه استطاع النجاح في ذلك الامتحان لأنه «حَسِبَ أَنَّ اللهَ قَادِرٌ عَلَى الإِقَامَةِ مِنَ الأَمْوَاتِ أَيْضًا ...» (عبرانيين ١١: ١٩). قد تشير عبارة «يُحْيِي الْمَوْتَى» إلى الآية الآخيرة من هذا الأصحاح أيضاً، والذي تتحدث عن قيامة المسيح من الأموات (رومية ٤: ٢٥).

الشيء المثير للإنتباه هو أن إبراهيم آمن بان الله قادر على إحياء الموتى. كان الله قد ظهر لإبراهيم، ولكننا لا نعرف أي معجزة رآها إبراهيم {من الله}. وليس هناك ما يدل على انه كان قد رأى من قبل إنساناً أُقيم من الموت. ومع ذلك أمن إبراهيم بان الله هو الله - وبانه إذا شاء الله، يستطيع أن يحي الموتى!

---

[١] وُجهت هذه الكلمات بصفة خاصة إلى اليهود، ولكن يمكن اعطاء تطبيق عام.

[٢] لا نعرف من هو كاتب الرسالة إلى العبرانيين التي تحتوي على نص مشهور بتعريف الإيمان (عبرانيين ١١: ١).

[٣] ريشارد باتي في تفسيره بعنوان «The Letter of Paul to the Romans» من مجلد «The Living Word Commentary»، صفحة ٦١.

وأيضاً آمن إبراهيم بالإله الذي «يَدْعُو الأَشْيَاءَ غَيْرَ الْمَوْجُودَةِ كَأَنَّهَا مَوْجُودَةٌ» (الآية ١٧). قد يكون هذا إشارة إلى الأصحاح الأول من سفر التكوين، حيث تكلم الله ودعى إلى الوجود عالم لم يكن موجد قبلاً. ربما يدل في هذا السياق إلى الوعد أو الوعود التي أعطيت لإبراهيم. لم يكن إسحق ابن إبراهيم موجوداً بعد، ولكن الله دعاه إلى الوجود. تحدث الله أيضاً عن «أمة عظيمة» (أي إسرائيل) والتي لم تكن موجودة فدعاها الله إلى الوجود (تكوين ١٢: ٢؛ ٤٦: ٣). (أشار الله أيضاً إلى نسل إبراهيم الروحي (أي المسيحيين) وداعاهم إلى الوجود بالمسيح على الأقل (غلاطية ٣: ٢٩).

ما يُراد توضيحه هو أن إبراهيم كان يعتبر انه إذا قال الله شيئاً، يكون ذلك كما لو كان قد حدث. إذا قال الله أن شيئاً ما سيحدث، فإنه سيحدث – بدون شك.

مع العلم بان إبراهيم لم يكن يؤمن بنفسه، بل بالله. لم يكن إبراهيم أيضاً يؤمن بما اعتقد، بل بربه. البعض منا يؤمن بعمله أكثر من أي شيء، إلى حد إنهم إن لم يحترسوا يعتقدون إن قوة إيمانهم هي الاهم. قد يكون الإيمان «ضعيفاً» (الآية ١٩) أو «قوياً» (الآية ٢٠)، وينبغي لإيماننا أن ينمو (راجع الآية ٢٠)[٤]. ومع ذلك، بما يختص بالبر لا يكون مقدار إيماننا ولا نوعيته أهم بقدر أهمية توجهه. ربما يساعدك مثل توضيحي في فهم ما أريد قوله هنا.

تخيل انك إقتربت من هوة عميقة وكبيرة، وكان لا بد عليك أن تعبر تلك الهوة. وتصور أن هناك ثلاث طرق للعبور إلى الناحية المقابلة. قد تحاول القفز عبرها، وهذا يوضح الإيمان بالذات. (يا للويل! ها أنت تسقط في أعماق الهوة!). قد تكون الطريقة الثانية هي أن تأتي بحبل، تربطه من جهة – حبل طويل لتنتقل به عبر الهوة. فتقبض بطرف الحبل وتقفز بالاتجاه المقابل. يوجد بهذه الوسيلة تركيز ثنائي للإيمان: تؤمن بان الحـ بانك تستطيع أن به حتى تصل بأمان إلى الناحية المقابلة. الطريقة الثالثة التي أريد منك التفكير بها تتضمن عمل جسر لعبور الهوة. أنت تعبر الجسر لأنك تثق بان هذا الجسر سيحملك وانت تعبره.

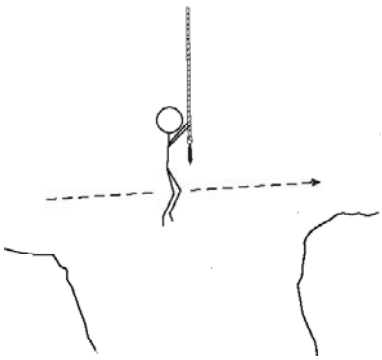

لا يكون إيمانك هو الذي يحملك، بل هو الجسر. قد تعبره بثقة تامة، أو ربما بعدم ارتياح. لا يعتمد عبورك على مقدار إيمانك ولا نوعيته، بل على الجسر. أريد أن أضع التوكيد هنا على أن إيمان إبراهيم لم يتركز على نفسه. بل ولم يكن ذلك إيمانه (كما سنرى أن إيمان إبراهيم كان بعيد عن الكمالية). بل كان إيمان إبراهيم بالله (الآية ١٧). هكذا أيضاً يجب أن يكون هدف إيماننا هو الله. حتى عندما نكون أمواتاً روحيا، يمكنه أن يحينا (أفسس ٢: ٥). انه سيعطي حياة في يوم ما لأجسادنا المائتة. علاوة على ذلك انه يستطيع أن ينظر فينا ويرى الامكانية في حياتنا، حتى عندما نكون خطاة «وَيَدْعُو الأَشْيَاءَ غَيْرَ الْمَوْجُودَةِ كَأَنَّهَا مَوْجُودَةٌ».

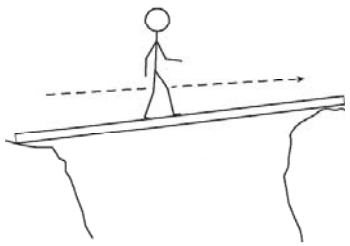

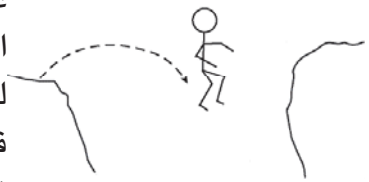

## إيمان بقوة الله (الآيتان ١٨ و١٩)

لأن إيمان إبراهيم كان مركز على الله، «فَهُوَ عَلَى خِلاَفِ الرَّجَاءِ، آمَنَ عَلَى الرَّجَاءِ، لِكَيْ يَصِيرَ أَبًا لأُمَمٍ كَثِيرَةٍ، كَمَا قِيلَ:«هكَذَا يَكُونُ نَسْلُكَ» (رومية ٤: ١٨). قبل ما ننظر في هذه الآية بكاملها، يجب أن نأخذ بضع لحظات للحديث عن العبارة التي بدأت بها هذه الآية: «عَلَى خِلاَفِ الرَّجَاءِ، آمَنَ عَلَى الرَّجَاءِ ...» (الآية ١٨).

هذه أول مرة نجد فيها كلمة «رجاء» في الرسالة إلى أهل رومية، ولكنها ليست المرة الأخيرة (راجع ٥: ٢، ٤، ٥؛ ٨: ٢٠، ٢٤، ٢٥؛ ١٢: ١٢؛ ١٥: ٤، ١٢، ١٣، ٢٤).

[٤] قد يكون الإيمان أيضاً «قليل» (متى ١٤: ٣١؛ ١٦: ٨) أو «عظيم» (متى ٨: ١٠ و٢٦، أو «ميت» (يعقوب ٢: ١٧ و٢٦) أو حي.

تُرجمت كلمة «رجاء» هنا من الكلمة اليونانية «إلپيس ἐλπίς» وهي كلمة اعتاد بولس على استخدامها؛ وقد وردت في سفر رومية أكثر مما وردت في أي سفر آخر من أسفار العهد الجديد. للرجاء علاقة حميمة بإيمان (راجع عبرانيين ١١: ٦)، ولكن هناك فرق بينهما. الرجاء الذي كتب عنه بولس يجمع بين الرغبة والتوقع؛ يتطلب الاثنين كلاهما لكي يكون هناك رجاء[٥]. قد أرغب في الحصول على مليون دولار، ولكن ما دام لا أتوقع ذلك، فهذا ليس رجاء. قد يتوقع قاتل أُثبتت إدانته الاعدام، ولكنه ما دام لا يرغب في ذلك، لا يكون هذا رجاء. في المسيح لدينا رجاء: الرغبة بالإضافة إلى التوقع.

تحدث بولس عن إبراهيم بانه كان «عَلَى خِلاَفِ الرَّجَاءِ، آمَنَ عَلَى الرَّجَاءِ». لم يكن لإبراهيم من وجهة النظر الدنيوية رجاء بانه سيكون له ابناً. كان يرغب في أن يكون له ابناً، ولكن إذ كان جسده كالميت (رومية ٤: ١٩)، لم يكن له سبب دنيوي ليتوقع ابناً. ومع ذلك، ومن وجهة النظر السماوية، قال الله بانه سيكثر نسله، والآن لا يرغب إبراهيم في أن يكون له ابن فحسب، بل توقع أن يكون له ذلك. لهذا قال بولس بان إبراهيم «عَلَى خِلاَفِ الرَّجَاءِ، آمَنَ عَلَى الرَّجَاءِ ...» (الآية ١٨). قال يوجين بيترسون: «عندما أصبح الكل بلا رجاء، آمن إبراهيم على كل حال ...».

«فَهُوَ {أي إبراهيم} عَلَى خِلاَفِ الرَّجَاءِ، آمَنَ عَلَى الرَّجَاءِ، لِكَيْ يَصِيرَ أَبًا لأُمَمٍ كَثِيرَةٍ {بحسب الجسد وروحياً}، كَمَا قِيلَ: هكَذَا يَكُونُ نَسْلُكَ» (الآية ١٨). الإشارة في هذه الآية إلى «أَبًا لأُمَمٍ كَثِيرَةٍ» هي من تكوين ١٧: ٤ و٥، بينما جاء الاقتباس من تكوين ١٥: ٥. قال الله لإبراهيم هناك أن نسله سيكثر كنجوم السماء. فأمن إبراهيم بان هذا الوعد سيتحقق- مع انه لم يكن يبدو ممكناً.

يعتبرالناس ان هذا النوع من الإيمان غير منطقي ولا عقلاني. يشددون على أن هذا «بعيد عن الواقع»، وبانه «إخفاق في مواجهة الحقائق». تؤكد لنا الآية التالية أن الحال لم يكن هكذا مع إبراهيم: «وَإِذْ لَمْ يَكُنْ ضَعِيفًا فِي الإِيمَانِ لَمْ يَعْتَبِرْ جَسَدَهُ وَهُوَ قَدْ صَارَ مُمَاتًا، إِذْ كَانَ ابْنَ نَحْوِ مِئَةِ سَنَةٍ وَلاَ مُمَاتِيَّةَ مُسْتَوْدَعِ سَارَةَ» (٤: ١٩).

عندما أخبر الله إبراهيم الذي كان في حوالي التاسع والتسعين من عمره بانه سيكون له ابن (تكوين ١٧: ١ و١٦)، لم يتجاهل حقيقة أن جسده «قَدْ صَارَ» ميتاً من ناحية إنجاب البنين (قارن هذا مع عبرانيين ١١: ١٢). ولم يتجاهل أيضاً موت رحم سارة. لاحظ عبارة «قَدْ صَارَ». كان رحم سارة «ميت» دائماً، اما جسد إبراهيم فـ«قَدْ صَارَ» الآن ميتاً. في الأيام السالفة لم يكن جسده ميتاً بما يختص بإنجاب البنين (تكوين ١٦: ٤)، واما الآن فميت[٦].

نظر إبراهيم في «الحقائق»: من الناحية الجسدية لم يكن بمقدورهما هو وسارة امرأته إنجاب البنين. انه واجه «الحقيقة»: ليست هناك طريقة من وجهة النظر الدنيوية يستطيع بها انجاب النسل. وبرغم ذلك آمن بانه هو وسارة سينجبان ابناً، وبان نسله سيكثر كنجوم السماء. لماذا؟ لأنه أدرك بان الحقائق المادية ليست الحقائق كلها؛ بل هي الحقائق الأقل أهمية من الحقائق الموجودة. علاوة على ذلك، أدرك بان هناك حقيقة أسمى من حقيقة هذا العالم، وهي: حقيقة الله. لم يتجاهل إبراهيم الحقائق الجسدية ولا الحقائق الدنيوية، ولكنه لم يسمح لهذه الحقائق بتخويفه ولا بتقييده. بل آمن بإله قدير، الإله القادر أن يعمل ما قال انه سيعمله (راجع رومية ٤: ١٧؛ تكوين ١٧: ١؛ لوقا ١: ٣٧).

إذا سلكنا على خطوات إيمان إبراهيم، ينبغي أن ننظر ليس حولنا فحسب، بل وإلى الأعلى أيضاً - أي إلى الله. لا يجب أن نتجاهل مشكلة الحياة، ولكننا لا نسمح لها بان تغمرنا. على كل حال لدينا إله مقتدر وآب محب. قال إرميا أن الله «لاَ يَعْسُرُ {عليه} شَيْءٌ»

---

[٥] دي جي توماس في تفسيره بعنوان «Romans» من سلسلة «The Living Word»، صفحة ٣٧.

[٦] ورد بالتكوين ٢٥: ١-٦ انه كان لإبراهيم أبناء من قطورة. كيف يكون هذا إذا كان إبراهيم قد تقدم في العمر كثيراً بحيث لا يمكن إنجاب البنين؟ ربما لم يتم ترتيب الأحداث هنا وفقاً للتسلسل الزمني، أي انه كان لإبراهيم أبناء من قطورة في وقت سابق من حياته. أو ربما البركة الروحية نفسها التي جعلت لإبراهيم إسحق أمكنته أيضاً أن يكون له أبناء آخرين.

(إرميا ٣٢: ١٧). قال الملاك لمريم: «لأَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ غَيْرَ مُمْكِنٍ لَدَى الله» (لوقا ١: ٣٧). ينبغي أن نتعلم أن نسلك «بالإيمان لا بالعيان» (٢ كورنثوس ٥: ٧).

**إيمان بوعود الله (الآيتان ٢٠ و٢١)**

لم يؤمن إبراهيم بقوة الله فحسب، بل كان له الثقة أيضاً في وعود الله: «وَلاَ بِعَدَمِ إِيمَانٍ ارْتَابَ فِي وَعْدِ الله ...» (رومية ٤: ٢٠). تشير العبارة «وَعْدِ الله» في هذه الآية إلى الوعد بان إبراهيم ونسله سيرثون العالم (آية ١٣)، وهذا الوعد يشمل على إنجاب إبراهيم للابن وأحفاد كثيرين. مع أن تتميم ذلك الوعد كان يبدو مستحيلاً، إلا أن إبراهيم لم يرتاب أبداً بعدم الإيمان في وعد الله. تُرجمت كلمة «ارْتَابَ» في هذه الآية من الكلمة اليونانية «دياكرينو διακρίνω»، وهي كلمة مركبة معناها «تردد» أو «شك».

بدلاً من أن يرتاب إبراهيم في نفسه، «تَقَوَّى بِالإِيمَانِ» (الآية ٢٠). عبارة «تَقَوَّى بِالإِيمَانِ» معناها هنا في اللغة اليونانية «تقوى في إيمان» {أي تقوى إيمانه}. تقوى ثقة إبراهيم بالرب وبوعوده. كما يقوي التمرين البدني الجسم، هكذا أيضاً عندما يمرن/يدرب الشخص إيمانه (بالاعتماد عليه والعمل به) سيقوي إيمانه.

«تَقَوَّى {إبراهيم} بِالإِيمَانِ مُعْطِيًا مَجْدًا {دوكزا δόξα} لله» (الآية ٢٠). انه نسب لله ما كان له من المجد، وصف بولس في الأصحاح الأول الذين «لَمَّا عَرَفُوا اللهَ لَمْ يُمَجِّدُوهُ أَوْ يَشْكُرُوهُ كَإِلهٍ ...» (رومية ١: ٢١). لم يكن إبراهيم مثل ناكري الجميل هؤلاء، بل كان يكرم الرب. يجب علينا نحن أن نتبع خطوات أبينا إبراهيم بهذا الخصوص. «... لَهُ الْمَجْدُ الآنَ وَإِلَى يَوْمِ الدَّهْرِ. آمِينَ» (٢ بطرس ٣: ١٨).

ينقلنا هذا إلى الآية ٢١ التي هي خلاصة إيمان إبراهيم، عبارة مختصرة عن توكل تام: «وَتَيَقَّنَ أَنَّ مَا وَعَدَ بِهِ هُوَ قَادِرٌ أَنْ يَفْعَلَهُ أَيْضًا». تُرجمت كلمة «تَيَقَّنَ» في هذه الآية من الكلمة اليونانية «بلروفوريو πληροφορέω» ومعناها «واثق تماماً» أو «اقتنع تماماً».

كان إبراهيم مقتنع وواثق تماماً أن الله «قادر» أن يعمل ما وعد به. كنتُ قد قطعتُ وعد في وقت ما ولم استطع تتميمه. عندما صنعتُ ذلك الوعد كنتُ أنوي تتميمه وقد عملتُ كل ما باستطاعتي لعمل ذلك. ولكن في النهاية لم استطع تتميمه. ولكن إلهنا ليس كذلك. فانه عندما يقطع وعداً، يكون قادراً على تتميم ذلك الوعد. إحدى الأفكار الرئيسية في كلا العهدين الجديد والقديم هو أن إلهنا هو إله «قادر» (راجع دانيال ٣: ١٧؛ رومية ١١: ٢٣؛ ١٤: ٤؛ ٢ كورنثوس ٩: ٨؛ عبرانيين ٧: ٢٥). كلمة «قادر» هنا مترجمة من الكلمة «دوناتوس δυνατός»، وهي من عائلة الكلمة «دوناميس δύναμις» أي قدرة/قوة. إلهنا هو إله قدير، أي كلي القدرة.

لم يؤمن إبراهيم بان الله قادر أن يعمل ما قد وعد به فحسب، بل أن الله سيعمله فعلاً. آمن بان الله أمين/صادق (راجع تثنية ٧: ٩؛ ١ كورنثوس ١: ٩). لا يستطيع الله أن يكذب (تيطس ١: ٢؛ راجع عبرانيين ٦: ١٨). لا يحافظ الناس على وعدهم دائماً، ولكن الله يحافظ على وعده دائماً. انه سيعمل ما وعد به!

هل كان من السهل لإبراهيم أن يؤمن بان الله سيتمم وعده؟ صور دونالد بارنهاوس انه لا بد أن مرور السنين دون أن ينجب إبراهيم ابناً (كما كان معروفاً آن ذاك) شيء مثبط للعزيمة.

> عندما تأتي قوافل التجار إلى البلاد كانت تقف عند بئر إبراهيم. تُباع الأطعمة إلى المسافرين. وعندما يحل المساء، يأتي التجار إلى خيمة إبراهيم ليسلموا على أهل بيته. ربما كان الحوار يتخذ نموزجاً معيناً. من أنت؟ كم تبلغ من العمر؟ كم قضيت هنا من الزمان؟ عندما يعَرِّف التاجر نفسه، يكون إبراهيم مجبراً على التعريف بنفسه أيضاً: أنا إبراهيم أبو كثيرين. مئة مرة، وألف مرة. ويكون مزعجاً أكثر في كل مرة مما سبق. «أبو كثيرين! مبروك لك! كم لك من الأبناء؟» وكانت الإجابة مذلة لإبراهيم: «لا ابن». «أبو كثيرين»، ولكن ليس أبو أحد. انه كان رب العائلة/بطريرك؛ كان كلامه ناموس؛ وكان يملك عدد كبير من البهائم وعبيد

كثيرين، ولكن – لم يكن له أولاد، وكان اسمه «أبو كثيرين»[٧].

ومع ذلك، بقي إبراهيم متيقناً «أَنَّ مَا وَعَدَ بِهِ هُوَ قَادِرٌ أَنْ يَفْعَلَهُ أَيْضًا» (رومية ٤: ٢١).

ربما يجب أن أوضح بان إبراهيم كان واثقاً تماماً بان «ما وعد به الله هو قادر أن يفعله». لم يكن إيمان إبراهيم مبنياً على شيء من الخيال ولا هو حُلْماً، بل كان راسخاً على ما قاله الله. يقول الأصحاح العاشر أن «الإِيمَانُ بِالْخَبَرِ، وَالْخَبَرُ بِكَلِمَةِ الله» (رومية ١٠: ١٧؛ راجع يوحنا ١٧: ٢٠). لا يجب أن يركز إيماننا على الله فحسب، بل يجب أن يركز أيضاً على الكتاب المقدس.

ربما تفكر الآن في نفسك قائلاً: «ليت إيماني كان مثل إيمان إبراهيم! إيمان قوي لم يتزعزع أبداً، ولا به شك، إيمان رواقي/زينوني لم يتردد أبداً»[٨]. لا أريد أن أترك انطباع بان إيمان إبراهيم كان كاملاً. إن كنت تظن بان إيمان إبراهيم كان كاملاً، فانت تضع بذلك معياراً مستحيلاً لنفسك. إذا فعلت هذا، لا يكون هناك شيء تتطلع إليه غير خيبة الأمل واليأس.

كلا، لم يكن إيمان إبراهيم كاملاً. لقد كان بشراً، مما يعني انه لم يكن كاملاً، ولم يكن إيمانه كاملاً أيضاً. في الأصحاح ١٥ من سفر التكوين نرى أن إبراهيم قال لله ان يكون العبد وارثاً لممتلكاته ما دام انه ظل بلا ابن (تكوين ١٥: ٢ و٣). وفي الأصحاح ١٧ من سفر التكوين، بعد ما قال الله أن ساراي/سارة امرأته ستلد ابناً (تكوين ١٥ و١٦)، ضحك إبراهيم في نفسه قائلاً: «هَلْ يُولَدُ لابْنِ مِئَةِ سَنَةٍ؟ وَهَلْ تَلِدُ سَارَةُ وَهِيَ بِنْتُ تِسْعِينَ سَنَةً؟» (الآية ١٧). وبعد ذلك حاول أن يقنع الله بان يعتبر إسماعيل وريثاً له (الآية ١٨). عندما تحولت الشهور إلى سنين، والسنين إلى عقود، أصبح إبراهيم يصارع الوعد بانه سيكون «أباً لجمهور».

إذاً لماذا قال بولس أن إبراهيم «وَلاَ بِعَدَمِ إِيمَانٍ ارْتَابَ فِي وَعْدِ الله»، وبانه «تَيَقَّنَ أَنَّ مَا وَعَدَ بِهِ {الله} هُوَ قَادِرٌ أَنْ يَفْعَلَهُ أَيْضًا» (رومية ٤: ٢٠ و٢١)؟ من إحدى الطرق للإجابة على هذا السؤال هي أن إبراهيم لم يصارع نفسه بقدر ما صارع بالكيفية التي يتم بها ذلك الوعد. دعني أقدم مثال على ذلك. قال بولس في الأصحاح الثامن أن «كُلَّ الأَشْيَاءِ تَعْمَلُ مَعًا لِلْخَيْرِ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَ اللهَ ...» (رومية ٨: ٢٨). عندما تهددنا الحياة، قد نتساءل كيف سيتمم الله ذلك الوعد. ومع ذلك، إذا تمسكنا بالوعد وبقينا أمناء للرب، قد يقال اننا لم نرتاب.

ربما صارع إبراهيم إيمانه، وكان له ضعفاته، أو حتى مر بلحظات من الشكوك – ولكن لم يحول نظره عن الله أبداً. تذكر أن خاصية إيمان إبراهيم لم تكن ذات أهمية بقدر أهمية ما كان يتركز عليه إيمانه. عندما تسلك في خطوات إيمان إبراهيم، قد تكون لديك بعض التساؤلات أو حتى الشكوك أحياناً. وعندما يحدث ذلك، صلي باستمرار واقرأ كلمة الله باستمرار، واستمر في عمل مشيئة الله. أبقى قريباً من الرب كما فعل إبراهيم، فستتقوى بالإيمان أيضاً (رومية ٤: ٢٠).

اختتم بولس النظرة الشاملة على حياة إبراهيم بإقتباسه مرة أخرى من سفر التكوين ١٥: ٦: «لِذلِكَ أَيْضاً: حُسِبَ لَهُ بِرًّا» (رومية ٤: ٢٢). لم يكن أيمانه كاملاً، ومع ذلك، كان ذلك إيمان. وبسبب ذلك الإيمان حسب الله إبراهيم باراً.

## أتباع إبراهيم (٤: ٢٣-٢٥)

بعد ذلك قدم بولس التطبيق لقُرَّاءه ولنا نحن أيضاً. «وَلكِنْ لَمْ يُكْتَبْ مِنْ {أجل إبراهيم} وَحْدَهُ أَنَّهُ حُسِبَ لَهُ، بَلْ مِنْ أَجْلِنَا نَحْنُ أَيْضًا ...» (الآيتان ٢٣ و٢٤). لم يُكتب ما ورد في تكوين ١٥: ٦ كذكرى لإبراهيم فحسب، بل ليبقى حياً في ذاكرة الناس. جعل الله موسى يكتب هذه الكلمات لأنه أراد من الذين كانوا في زمان موسى أن يتعلموا شيئاً – وقال بولس أن الله ما زال يريد من الناس أن يتعلموا منها. لم يطمح بولس كثيراً في إعادة كتابة التاريخ، ولكن كانت له رغبة عظيمة في تغيير قلوب الناس وحياتهم.

---

[٧] مأخوذ من دونالد غري بارنهاوس، في تفسيره بعنوان «God's Remedy: Romans 3:21 - 4:25»، صفحتي ٣١١ و٣١٢. قدم بارنهاوس معنى مختلف قليلاً لـ«إبراهيم» مما استخدمناه في دراستنا للأصحاح الرابع من الرسالة إلى أهل رومية.

[٨] مأخوذ من شارلس سويندول في تفسيره بعنوان «Coming to Terms with Sin: A Study of Romans 1-5»، صفحة ٧٤.

كتب ما ورد في سفر التكوين ١٥: ٦ «مِنْ أَجْلِنَا نَحْنُ أَيْضًا، الَّذِينَ سَيُحْسَبُ لَنَا، الَّذِينَ نُؤْمِنُ بِمَنْ أَقَامَ يَسُوعَ رَبَّنَا مِنَ الأَمْوَاتِ» (رومية ٤: ٢٤). سيُحسب لنا إيماننا براً كما حُسبَ لإبراهيم إيمانه براً لأننا تحت نظام النعمة/الإيمان. الطريقة الثلاثة التي أُسْتُخْدِمَت بها كلمة «حسب» {«لوقيزوماي»} في الآيات ٢٢ إلى ٢٤ تذكرنا بـ«ترتيب حساب الله العجيب». هذه إحدى آخر الإشارات في الرسالة إلى أهل رومية بما يختص بالكيفية التي «يسجل بها الله الحساب في دفتر الحسابات»، ولكنها تعطي مرجع لما تبقى من هذه الرسالة.

**الإيمان بالله ...**

كان بولس قد تحدث عما آمن به إبراهيم. ويختتم هذا الحديث الآن بخلاصة ما ينبغي أن نؤمن به نحن. هناك مقارنة متضمنة لما يؤمن به وما آمن به إبراهيم.

بعد ما قال بولس أن ما ورد في سفر التكوين ١٥:٦ كُتِبَ لأجلنا، حدد عمن كان يتكلم: «{نحن} الَّذِينَ نُؤْمِنُ بِمَنْ أَقَامَ يَسُوعَ رَبَّنَا مِنَ الأَمْوَاتِ» (رومية ٤: ٢٤). آمن إبراهيم بالله «الَّذِي يُحْيِي الْمَوْتَى» (الآية ١٧)، وينبغي أن يكون لنا نوع الإيمان نفسه. وردت إشارة غير مباشرة إلى المسيح في وقت سابق من هذا الأصحاح، ولكن هذه أول مرة يظهر فيها الاسم «يسوع».

قيامة المسيح شيء أساسي لإيماننا. قال بولس في الأصحاح الأول أن يسوع «تَعَيَّنَ ابْنَ اللهِ بِقُوَّةٍ مِنْ جِهَةِ رُوحِ الْقَدَاسَةِ، بِالْقِيَامَةِ مِنَ الأَمْوَاتِ ...» (رومية ١: ٤). وقالَ في الأصحاح العاشر أنه ينبغي أن «{تعترف} بِفَمِكَ بِالرَّبِّ يَسُوعَ، {وتؤمن} بِقَلْبِكَ أَنَّ اللهَ أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ» (رومية ١٠: ٩) لكي تَخلص. بدون القيامة لا يكون لنا «رجاء حي» (١ بطرس ١: ٣) ويكون إيماننا «باطل» (١ كورنثوس ١٥: ١٧).

ومن ثم قال بولس عن يسوع انه «أُسْلِمَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا وَأُقِيمَ لأَجْلِ تَبْرِيرِنَا» (رومية ٤: ٢٥)[٩]. عندما قال بولس أن يسوع «أُسْلِمَ» المقصود به هو انه أُسْلِمَ لأعداءه لكي يُصْلَب.

تُرجمت عبارة «أُسْلِمَ» في هذه الآية من الكلمة اليونانية «پاراديدومي παραδίδωμι» («پارا παρά» {أي «بجانب»} بالإضافة إلى «ديدومي δίδωμι» {أي «يعطي»}). أُستخدمت صيغة هذه الكلمة بما يختص بأعداء يسوع وهم يسلمونه، ولكن الآية ٢٥ لا تشير إلى أعداء يسوع. لاحظ أنه «أُسْلِمَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا». لم يهتم اعداء المسيح بـ«خطايانا»؛ بل ما كان يهمهم هو التخلص مما يبغضونه. تتحدث الآية ٢٥ عن الله «يسلم» يسوع كفارة لخطايانا (٣: ٢٥). قال بولس في الأصحاح الثامن أن الله «لَمْ يُشْفِقْ عَلَى ابْنِهِ، بَلْ بَذَلَهُ لأَجْلِنَا أَجْمَعِينَ ...» (رومية ٨: ٣٢). {كلمة «أُسْلِمَ» في رومية ٤: ٢٥ وكلمة «بذل» في رومية ٨: ٣٢ هما من أصل كلمة يونانية واحدة}.

ورد في رومية ٤: ٢٥ عدة صيغ حيرت المفسرون. منها تكرار حرف جر/إضافة المترجمة إلى «لأجل»: «الَّذِي أُسْلِمَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا وَأُقِيمَ لأَجْلِ تَبْرِيرِنَا». يتضح أن بولس أراد أن تكون هاتين الجملتين متوازيتين. المشكلة هي أن الكلمتين «خطايا» و«تبرير» ليستا من النوع نفسه؛ بل هما مضادتان. يتضح أن بولس توقع أن يكمل قُرَّاءه الفكرة في كل جزء من هذه الجملة: أُسلم المسيح ليموت «لأن» ذلك كان ضرورياً لإزالة إثم خطايانا، وأقيم من الأموات «لأجل» ضرورة ذلك لتبريرنا.

المصطلحات المستخدمة في الجزء الأخير من الاية ٢٥ تطالب بالمزيد من التفسير: «أُقِيمَ لأَجْلِ تَبْرِيرِنَا». كقاعدة عامة قال بولس أن المسيح مات لأجل تبريرنا.

---

[٩] يظن الكثير من المفسرين أن بولس اقتبس في هذه الآية «قانون إيمان» للمسيحيين الأوائل. نحن لا نعلم ما إذا كان هذا صحيح أم لا. كل ما يجب أن نعرف هو أن إنسان موحى إليه هو الذي كتب هذا، إذن يكون هذا من عند الرب.

وقال في رومية ٥: ٩ «مُتَبَرِّرُونَ الآنَ بِدَمِهِ» (راجع ٣: ٢٤ و٢٥). ولكنه قال هنا أن المسيح «أُقِيمَ» لأجل تبريرنا. من إحدى الطرق التي تمثل بها قيامة المسيح «تبريرنا» هي انه بسبب القيامة نتيقن أن موت المسيح قد استرضى غضب الله. قد تكون هناك أهمية أخرى أيضاً لهذه العبارة.

يلفت بعض المفسرين الانتباه إلى الرسالة إلى العبرانيين التي تشير إلى يسوع بانه رئيس كهنتنا (٢: ١٧؛ ٣: ١؛ ٤: ١٤ و١٥). يقدم الأصحاح التاسع من الرسالة إلى العبرانيين التشابه بين رئيس الكهنة في العهد القديم من جهة ويسوع من جهة أخرى. ففي العهد القديم كان رئيس الكهنة يدخل قدس الأقداس في خيمة الاجتماع (أو الهيكل) مرة واحدة في السنة بدم حيوانات. ويرش ذلك الدم على «كرسي الرحمة» (أي «غطاء تابوت الشهادة») الذي يمثل عرش الله. وكان يفعل هذا تكفيراً عن خطايا الشعب. دخل يسوع رئيس كهنتنا إلى قدس الأقداس، أي السماء (راجع عبرانيين ٩: ٢٤). وبدلاً من أن يأخذ معه دم الحيوانات، قدم دمه هو عند عرش الله. وقد فعل هذا تكفيراً عن خطايانا – ليست مرة واحدة في السنة، بل مرة واحدة إلى الأبد. لكي يتمم يسوع مهمة رئيس الكهنة هذه، كان عليه أن يقوم من الأموات ومن ثم يصعد إلى أبيه. كتب شارلز هودج أن «كانت قيامة المسيح ضرورية جداً كإثبات قبول التكفير الذي قدمه عنا وكخطوة ضرورية لضمان قبول أهلية ذبيحته»[١٠].

عندما قال بولس أن المسيح مات «مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا» وَأُقِيمَ «لأَجْلِ تَبْرِيرِنَا»، لم يقصد أبداً أن يتضمن كلامه هذا على أنه لم يكن لموت يسوع علاقة بتبريرنا ولا أن قيامته لا علاقة لها بغفران تعدياتنا. بل كان يقول بذلك أن لكلاهما دور ضروري في خلاصنا. كتب أر سي بيل أن بولس ربط الصلب والقيامة معاً، «وهما الفصلتان اللتان يدور عليهما باب الخلاص»[١١].

[١٠] على سبيل المثال: جي دبليو مكغارفي وفيلب بندلتون في تفسيرهما بعنوان «Thessalonians, Corinthians, Galatians and Romans»، صفحة ٣٣٠.

[١١] أر سي بيل في تفسيره بعنوان «Studies in Romans»، صفحة ١٤.

### ... ولكن ليس بيسوع؟

قبل ما ننهي حديثنا عن إتباع خطوات إبراهيم، يجب أن نعالج مسألة واحدة أخرى. يحاول البعض استخدام الأصحاح الرابع من الرسالة إلى أهل رومية لـ«إثبات» أن إيمان الشخص بالمسيح ليس شرطاً لكي يقبله الله[١٢]. إذ يقولون «فَآمَنَ إِبْرَاهِيمُ بِالله فَحُسِبَ لَهُ بِرًّا» (الآية ٣؛ راجع الآية ١٧) وبانه يجب أَن يكون لنا «إِيمَانِ إِبْرَاهِيمَ» (الآية ١٦). علاوة على ذلك، يقولون أنه عندما يتحدث هذا الأصحاح عن إيماننا يكون التوكيد موضوع على الإيمان بالله (آية ٥ و٢٤). لهذا يستخلصون أن جميع الذين يؤمنون بالله (بما فيهم اليهود) سيخلصون، سواء كانوا يؤمنون بيسوع أم لا.

قال بولس بوضوح في رومية ٣: ٢٦ أن الله «بَارًّا وَيُبَرِّرَ مَنْ هُوَ مِنَ الإِيمَانِ بِيَسُوعَ». توجد نصوص كثيرة مثل هذا، ولكني سأكتفي بالحديث عن الأصحاح الرابع من الرسالة إلى أهل رومية، النصوص الثبوتية.

أولاً: يجب أن أوضح أن بولس استخدم لغة «إيمان» ملائمة في هذا الأصحاح عندما وجه حديثه إلى اليهود بخصوص إبراهيم المحبوب لديهم. قال دوغلاس موو أن بولس يفعل هذا هنا لتوضيح وجه التشابه بقدر المستطاع بين الإيمان المسيحي وإيمان إبراهيم»[١٣].

ثانياً: لاحظ انه حتى عندما ورد ذكر إيماننا بالله، لا يكون ذلك بمعزل عن إيماننا بابنه. تقول الآية ٥ أنه يجب أن نؤمن «بِالَّذِي يُبَرِّرُ الْفَاجِرَ»، ولكن التبرير ممكناً بموت يسوع فقط (٥: ٩). وورد في الآيتين ٢٤ و٢٥ أن نؤمن بالله الذي «أَقَامَ يَسُوعَ رَبَّنَا مِنَ الأَمْوَاتِ. الَّذِي أُسْلِمَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا وَأُقِيمَ لأَجْلِ تَبْرِيرِنَا».

ثالثاً، مع أن إبراهيم لم يكن يعلم عن يسوع، إلا انه آمن بوعد الله بما يختص بـ«نسله» (تكوين ٢٢: ١٨؛ غلاطية ٣: ١٦). وبهذا بشر الله إبراهيم بالإنجيل (راجع غلاطية ٣: ٨)، وآمن إبراهيم بما كشفه الله له. الخلاصة التي توصلت إليها هي أنه كل من يؤمن بعد مجيء المسيح وصلبه وقيامته وصعوده إلى السماء

[١٢] أني أتعجب إلى إي حد يمضي «غَيْرُ الْعُلَمَاءِ وَغَيْرُ الثَّابِتِينَ» لكي «يحرفوا» تعليم بولس. (راجع ٢ بطرس ٣: ١٥ و١٦).

[١٣] دوغلاس موو في تفسيره بعنوان «Romans» من مجلد «The NIV Application Commentary»، صفحة ١٦٥.

ولكن لم يقبل الإيمان بوحي الله عن يسوع لا يستحق ذكره مع إبراهيم في جملة واحدة، رجل الإيمان ذلك الذي عاش في قديم الزمان!

> لا شك أن الله أظهر نفسه في يومنا هذا في يسوع المسيح. لو كان إبراهيم قد عاش في يومنا هذا، لما خلص بمعزل عن الإيمان بالله كما تم اعلانه في المسيح ... {نستخلص} أن الذين يؤمنون بهذا الإله المعين المعلن في المسيح هم وحدهم لهم رجاء الخلاص[١٤].

## الخلاصة

إيمان إبراهيم هو إيمان رائع. لم يكن عنده الكتاب المقدس لكي يقرأه، بل كان عنده وعد الله فقط. لقد كان وحيداً تقريباً كمن يؤمن، محاطاً بوثنيين غير مؤمنين. لم يكن لديه مرجع من السجلات عن الإيمان، بل كان يعمل ليكون جزء من ذلك التاريخ. ومع ذلك آمن إبراهيم بالله»[١٥]. دعى أر سي بيل إبراهيم بانه «نموذج الإيمان» لجميع المؤمنين منذ أيامه»[١٦].

كيف يمكننا تلخيص إيمان إبراهيم كما ورد في الأصحاح الرابع من الرسالة إلى أهل رومية؟ عندما قال الله شيء آمن به إبراهيم. حتى عندما لم ينسجم ذلك مع فكره، آمن به. حتى عندما عارض ذلك إثبات حواسه، آمن به. ربما كان يصارع فكرة الكيفية التي سيعمل بها الله ما وعد به. ولكنه لم يتخلى عن إيمانه. بل ثابت بإيمانه وركز حياته على ذلك الإيمان. نظر الله إلى ذلك الإيمان «فَحُسِبَ لَهُ {ذلك الإيمان} بِرًّا» (٤: ٣).

يدعي البعض اليوم انهم يؤمنون بيسوع، ولكن إيمانهم أقل بكثير من نوع الإيمان الذي كان لإبراهيم.

أتذكر قصة عن جين فرانسكويس قرافلت «البلوندي العظيم»:

> كان بلوندي بهلواناً فرنسياً مشهوراً عاش في أواخر القرن التاسع عشر. وفي ذات مرة شد الحبل فوق شلالات نياغرا («نياغرا فولز Niagara Falls»)[١٧] وعبره مشياً على قدميه. عندما وصل بلوندي إلى الجانب الأميركي من الشلالات، هتف له آلاف من الناس.
>
> هدأ بلوندي الجمع وقال: «أني سأرجع سائراً على الحبل المشدود، ولكن في هذه المرة سأحمل شخصاً على كتفيَّ. هل تؤمنون بي؟».
>
> صاح الجمع: نؤمن! نؤمن!» ولكن عندما سأل بلوندي قائلاً «من الذي سأحمله؟» صمت الجمع. أخيراً، تقدم رجل ما، وصعد على كتفي بلوندي وسمح لنفسه بان يُحْمَل إلى الجانب الكندي من الشلالات.
>
> قال آلاف من الناس: «نؤمن!» ولكن واحداً فقط قدم حياته لما كان يؤمن به.[١٨]

لم يتم التعبير عن إيمان إبراهيم بكلمات فارغة. بل قدم حياته لما آمن به. كرس نفسه ليعمل ما قاله الله. إن كنت تتبع خطوات إيمان إبراهيم، ستكرس نفسك لتعمل كل ما باستطاعتك لإرضاء الرب. ستؤمن بالمسيح وبذبيحته (رومية ١: ١٦). وستعبر عن إيمانك بالتوبة والاعتراف (٢: ٤؛ ١٠: ٩). وستريد ان تتحد مع المسيح في المعمودية (راجع ٦: ٣-٦). وستجتهد كمسيحي لتسلك في «جدة الحياة» (٦: ٤).

سيكون هناك نقص في إيمانك دائماً، كما كان إيمان إبراهيم، ولا تكون طاعتك كاملة. ومع ذلك، سينظر الله في إيمانك أيضاً ويحسبه لك براً (٤: ٢٣ و٢٤)!

---

[١٤] المرجع السابق.

[١٥] وارن ويرسبي في تفسيره بعنوان «The Bible Exposition Commentary»، الجملد الأول؛ صفحة ٥٤٦.

[١٦] أر سي بيل في تفسيره بعنوان «Studies in Romans»، صفحتي ٣٦ و٣٧.

[١٧] شلالات نياغرا (نياغرا فولز Niagara Falls): تقع في الجزء الغربي من ولاية نيو يورك الأميركية عند مسقط نهر نياغرا قبالة نياغرا فولز الكندية.

[١٨] مأخوذ من هارلود تي بريسون في كتابه بعنوان «Illustrating Paul's Letter to the Romans»، صفحتي ٣١ و٣٢.

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٩